كيف ترعى طفلا لديه تأخر عقلي؟!

عندما يولد طفل طبيعي في العائلة فإن الوالدين يرعياه بصورة عادية دون القلق على ما سيكون عليه في المستقبل باعتبار أن كل شيء عادي وبالتالي سيأخذ مكانه العادي في الحياة والمستقبل مثله مثل باقي الأطفال . إما عندما يولد طفل معوق سواء اكتشف الوالدان حالته فور ولادته أو بعدها بفترة قصيرة نجد أن شغلهم الشاغل وكل اهتماماتهم تكون منصبة على مستقبل هذا الطفل وما سيكون عليه مستقبلا غافلين عن الحاضر بالنسبة إلى هذا الطفل. نجد الوالدين يبحثان عن تأكيدات و آمال لمستقبل هذا الطفل وهم في بحثهم هذا ينسون أولا أنه طفل كأي طفل آخر وأن له حاضرا يجب عليه أن يعيشه ويسعد به ؛ ولذلك فمن الأفضل للآباء والأمهات أن يتعاملوا مع حاضر الطفل المعوق وأن يدعوا المستقبل للمستقبل حتى لا يفسدوا حياة الطفل أولا وحياتهم ثانيا بالقلق على أمور ما زالت في علم الله تعالى !

أى أسرة وكل أسرة عندما تعلم أن طفلها معوق عقليا تشعر بالصدمة وترفض تصديق هذه الحقيقة كما تشعر بالاضطراب والارتباك . ولكن تتفاوت درجات هذه المشاعر باختلاف وتفاوت شخصية أفراد الأسرة . فبعض الأسر نجدها تقوم بحماية هذا الطفل حماية زائدة في حين نجد الأغلبية ترفض الاعتراف بإعاقة الطفل وترفض الطفل نفسه وقد ينتاب البعض مشاعر الحزن والاكتئاب نتيجة لفقدانهم الطفل الذي كانوا يتمنونه ، كما يشعر البعض الآخر بالقصور وعدم القدرة على إنجاب أطفال أسوياء ، وينتاب البعض الآخر الإحساس بعدم الأمان وعدم الثقة في كيفية التعامل مع الطفل. هذه المشاعر المتباينة تظهر وتختفي خلال الأسابيع الأولى مع معرفة حالة الطفل وبعد ذلك

تواجه الأسرة الأمر ، وتعمل على معرفة كيفية مساعدته ، ولكن قد تعود المشاعر الأولى للظهور أمام أى صدمة. جديدة أو مشكلة تواجه الطفل. وعلى الأسرة أن تعلم أن هذه المشاعر عامة بين جميع الناس ممن لديهم معوقون عقليا وليست قاصرة عليهم وحدهم وأنهم شأنهم في ذلك شان كل من له طفل معوق ، وأنه لا يوجد ما يبرر هذه المشاعر أو اعتبارها إثما أو شيئا مخجلا أو غريبا يجب ستره و إخفاؤه . ومن أكثر الأخطاء شيوعا خطأ تصور أن الطفل المعوق عقليا غير قابل أو غير صالح للتعليم أو التدريب.

وقد يترتب على هذا الاعتقاد في الماضي أن يُودَع الأطفال المعوقون عقليا مؤسسات للرعاية لإعاشتهم فقط أما الآن فقد أثبتت الدراسات أن البيئة لها تأثير عليهم ويمكن تنمية بعض قدراتهم وتعليمهم بعض المهارات وفق إمكانات كل منهم .

إن الطفل المعوق عقليا في أكثر الأحيان يمكنه الحياة بصورة مستقلة عن الآخرين وممارسة عمل أو حرفة يكتسب منها ، فالنجاح في الحياة لا يعتمد فقط على الذكاء الفردي بل يعتمد أيضا على القدرات المختلفة ، والنضج الانفعالي والعاطفي والعلاقات الاجتماعية التي لا يستطيع أحد أن يوفرها بقدر ما توفرها الأسرة ، وعلى الأسرة أن تتعاون مع المركز ومع المتخصصين لمساعدة الطفل وتدريبه فإن نمو الطفل يتوقف على ثلاثة عناصر :

- **عوامل وراثية .**
- **عوامل بيئية .**
- **عوامل نواحي القوة والضعف .**

وفي حالة المعوق عقليا لا يمكننا عمل أى شيء بالنسبة لعوامل الوراثة ، لكن يمكن عمل الكثير كأهال لتعويض التأخر في النمو والبطء في الاستجابة وذلك عن طريق برامج وتدريبات خاصة متنوعة ضمن المنزل(بروتيج) وفي

الحديقة وفي أي مكان ، فكلما نال الطفل رعايــة واسـتثاره وتدريبـا لاسـيما في سنوات مبكرة كانت الاستفادة أكبر . وعند تقديم المساعدة للطفل المعوق عقليا علينا ملاحظة بعض النقاط الهامة:

ــ **أولا :** أن كل طفل حالة خاصة منفردة فالفروق بـين الأطفـال المعوقـين عقليا متفاوتة.ولا يمكن تطبيق ما تم بالنسبة لطفل على طفل آخر.

ــ **ثانيا :** إيمان الأسرة بإمكانية تعليم وتدريب الطفل شيء أساسـي ، فلـو فقدت الأسرة الحماس أو شعرت بأن الجهد المبذول جهد ضائع فمن المؤكـد أن الطفل لن يتقدم في أي شيء.

ــ **ثالثا :** ليس المهم الكمية التي يتعلمها الطفل ، بل الأهم بالنسبة له هو نوع التعليم فلا يفيـد الطفـل أن يقضـي سـاعات طويلـة في تعليـم مـهارات بشكل جيد ، بل المفيد له أن يقضـي فـترة بسـيطة في التعليـم تكـون بشـكل صحيح ومدروس فتكون النتيجة أفضل.

ــ **رابعا :** نمو الطفل المعوق عقليا أبطأ من الطفل العادي فمعرفة مراحـل النمو الطبيعي للأطفال الأسوياء تساعد في تقديم برامج ناجحة للطفل المعوق تجعله يلحق بقدر الإمكان بإطار النمو الطبيعي.

عندما نقول : إننا نعلم الطفل شيئا يعني أننا نعطيه معلومات أو مـهارة ، أو خبره لم تتوفر لديـه مـن قبـل ، فكلمـة "تعلّـم" لا تنطبـق فقـط علـى المـواد الدراسية بل هي أعم من ذلك وتشمل كل ما يكتسبه الطفل من الميلاد وحتى لحظة الموت ، وما نعلمه للطفل لا بد أن يكون مفيدا له ويدفعه للتقدم والنمو وعندما نتحدث عن عملية التعلم بمفهومها الواسـع نجـد أنـها تشـمل أربعـة مجالات فرعية وهي :

ـ أولا : عملية التعليم .

ـ ثانيا : المحيط التعليمـي:العـالم المحيـط بـالطفل والـذي يمارسـه في حياتـه

اليومية نموذج السلوك وهو كل ما تقوم به الأم وتطلب من الطفل أن يتعلمه مثل الأكل أو أي سلوك آخر.

ـ ثالثا : التشجيع والدافع:وهو إيجاد دافع للطفل للقيام بالسلوك الذي نرغب تعليمه له ومنحه مكافأة ترضيه عند تنفيذه فالمكافآت ترضي وتسعد الجميع وتدفعهم للقيام بالأعمال المطلوبة منهم .

ـ رابعا : التفاعلات والتعليمات والمعلومات :

وهو التفاعل اليومي الذي يتم بين الطفل وأمه من ابتسامات واحتضان وقبلات وتعليمات ، وطلبات ... والبيئة المحيطة بالطفل مليئة بمثيرات يمكن للطفل التفاعل معها والتعامل معها ولو أعطي التعليمات الكافية البسيطة وبصورة تلقائية.

إن أسلوب الأم في التحدث مع طفلها والتعامل معه هام للغاية ومفيد في عملية التعلم وسنتناول بشيء من التفصيل فيما يلي المجالات الأربع السابقة.

ـ المحيط التعليمي :

يتميز المحيط التعليمي بعنصرين :

- تنوع المثيرات : تنظيم المثيرات بشكل فيه معنى وترتيب ، فالمثيرات قد تضيع هباء إذا لم تنظم ، وقد لا ينتبه إليها ولا يستفاد منها ؛ لذلك يجب تحرير الطفل من الضوضاء المحيطة بالطفل حتى يستطيع أن يستمتع ويسمع الأصوات المنفردة ويميزها.

إن خروج الطفل للنزهة أو التسوق أو لزيارة الأقارب والأصدقاء والجيران أو حتى السير بالشارع يستثير انتباهه فتنوع مجالات الاستثارة مهم لنمو الطفل وسعادته أيضا .

إن المجال الذي يعيش به الطفل يجب أن يتسم بالنظام بدرجة تسمح للطفل بالعثور على احتياجاته وتعلم أماكن الأشياء ومواقعها .

ويجب تعليم الطفل على روتين ونظام معين لحياته مع تعليمه أيضا المرونة في تطبيق هذا النظام فالنظام مطلوب للطفل لمواجهة ظروف قد تطرأ على حياة الأسرة.

أما بالنسبة إلى اللعب فيجب أن توضع في مكان يسهل على الطفل إحضارها والوصول إليها ويستحسن أن توضع في مكان مسطح يصل الطفل إلى كل اللعب ويجب آن يكتشف الطفل مع الأم أي لعبة جديدة تقدم له ثم يعتاد على اللعب بها بمفرده . .

أكدت البحوث التربوية أن الأطفال كثيراً ما يخبروننا بما يفكرون فيه وما يشعرون به من خلال لعبهم التمثيلي الحر واستعمالهم للدمى والمكعبات والألوان والصلصال وغيرها،ويعتبر اللعب وسيطاً تربويا يعمل بدرجة كبيرة على تشكيل شخصية الطفل بأبعادها المختلفة؛وهكذا فإن الألعاب التعليمية متى أحسن تخطيطها وتنظيمها والإشراف عليها تؤدي دورًا فعالا في تنظيم التعلم،وقد أثبتت الدراسات التربوية القيمة الكبيرة للعب في اكتساب المعرفة ومهارات التوصل إليها إذا ما أحسن استغلاله وتنظيمه .

حيث يُعرّف اللعب بأنه نشاط موجه يقوم به الأطفال لتنمية سلوكهم وقدراتهم العقلية و الجسمية و الوجدانية ، و يحقق في نفس الوقت المتعة والتسلية ، وأسلوب التعلم باللعب هو استغلال أنشطة اللعب في اكتساب المعرفة وتقريب مبادئ العلم للأطفال وتوسيع آفاقهم المعرفية.فلِلّعب أهمية تربوية تساعد في إحداث تفاعل الفرد مع عناصر البيئة لغرض التعلم وإنماء الشخصية والسلوك ويعتبر أداة فعالة لمواجهة الفروق الفردية ويشكل أداة تواصل هامة وينشط القدرات العقلية .

على الأم أيضا أن تعلم ابنها كيف يعيش ضمن المجتمع بما يعني أنه إن اقترب من النار سيحرق يده وان لامس الكهرباء سيؤذي نفسه ، وإن شاهد الجيران يجب أن يلقي أو يرد التحية وإن أخطأ سيعاقب ، وعليه إن يلتزم

بالتنظيم الاجتماعي، أي على الأم أن تدربه على سبيل المثال إن كان في المنزل ضيوف فلا يمكن للام أن تنفرد معه في غرفته وتترك الضيوف.

ـ نماذج السلوك :

- يحب الطفل عادة أن يقلد ويجد متعة في ذلك وعن طريق التقليد يتعلم أشياء كثيرة . والطفل المعوق يحتاج للتقليد أكثر من غيره وعلى الأم أن تقوم أمامه بالسلوك الذي ترغب أن يتعلمه بشكل واضح ولعدة مرات حتى يتمكن من تقليده وإعادته.

- على الأم مساعدة الطفل على أداء شيء معين مهم ولكن الأهم هو إعطاؤه الوقت الكافي ليقوم به بنفسه ويساعد ذلك فيما بعد على اتخاذ القرارات وإدراك العلاقات بين الأشياء وعلى الفهم وليس على التقليد ، فالطفل أثناء قيامه بعمل ما يقوم بعد كل خطوة بالنظر إلى أمه فإذا كانت الخطوة صحيحة فإن نظرة الأم يجب أن تكون مليئة بالتشجيع والفخر وإن كانت الخطوة خاطئة فإن نظرة الأم يجب أن تحمل هذا المعنى . وقد يتعب الطفل من المحاولات فيطلب من الأم المعاونة أو الإرشاد وهنا يجب أن يكون تدخل الأم مدروسا حتى يستفيد الطفل . وفي كل هذا يجب آن لا يغيب عن بال الأم أن الحاجة الأساسية لأي طفل هي الحب والاهتمام وعن طريق الحب والرعاية يكتسب الطفل الثقة بالنفس ويبدأ باكتشاف العالم المحيط به دون رهبة . ومن المهم أن نميز بين الاهتمام والرعاية وهما مطلوبان وبين الحماية الزائدة وهي مرفوضة ومعوقة للطفل .

- عند تعليم الطفل أي نشاط يجب أن تكون مدة التعليم قصيرة وعلى فترات وعند الانتقال من نشاط إلى آخر يجب إعطاء فرصة .

ـ إعطاء فرصة ومهلة في تدليل الطفل ، أو حضنه قبل أن يبدأ نشاطه الجديد فهذا يفيده ويشجعه .

ـ التشجيع و الدافعية :

الدافعية إما شيء داخلي مثل رغبة أو فضول يدفع الفرد للقيام بعمل ما وهي شيء خارج عن الرغبة في نيل مكافأة ، أو مكانة أو امتياز . وإن الدافعية تكون داخلية المصدر أو خارجية المصدر وفي حالة الطفل المعوق عقليا فان الدوافع في الأغلب تكون خارجية المصدر فهو يقوم بنشاط ما لكسب حب أو رضاء شخص مهم لديه كالأم مثلا ، والطفل بطبعه فضولي ويحب الاستكشاف وهذا نوع من الدوافع الداخلية التي يجب على الأم أن تشجعها ، وتنميها لدى ابنها ، ولن يقوم الطفل بالاستكشاف وإشباع فضوله إلا إذا كان متأكدا من حب الوالدين له وثقتهم به كذلك يجب أن لا يخاف الطفل من العقاب الذي قد يوقعه الوالدان إذا ما حاول استكشاف شيء جديد .

ـ التفاعلات والتعليمات والمعلومات :

عند تعليم الطفل يجب مراعاة قاعدتين أساسيتين :

الانتقال من المعلوم إلى المجهول - أي البدء بشيء يعرفه الطفل والارتقاء به لشيء جديد لا يعرفه . ومعرفة وتحديد ما هو مطلوب من الطفل أن يتعلمه بالضبط .

ولتطبق هاتين القاعدتين يجب معرفة نواحي القوة ونواحي الضعف في الطفل وهذا يأتي بملاحظة الطفل ملاحظة دقيقة منظمة أو بتطبيق قائمة ملاحظات لنحدد مكان الطفل في سلم القدرات وما هي الخطوة الأرقى التي نريد أن نعلمها. لتعليم الطفل الخطوة الأولى الأرقى من تلك التي يقوم بها فعلا ويمارسها نتبع أحد الوسائل الثلاث التالية أو حتى كلها معا بالتبادل :

ـ الإشارة :

أي نقوم بالمهارة المطلوب أن يتعلمها الطفل ونطلب منه تكرارها .

ـ التشكيل :

أي الأخذ بيد الطفل إذا عجز عن تقليد أداء الأم مثلا ومساعدته في

الوصول إلى المطلوب ، مثلا رفع يده لفتح الباب إذا عجز عن هذا تمسك الأم بيده وتساعده على فتح الباب .

ولكن يجب استخدام هذا الأسلوب في أضيق الحدود .

ومهما كانت وسيلة تعليم الطفل فإن الأساسي والمهم لإنجاح هذه العملية التعليمية هو تقسيم العمل إلى خطوات صغيرة ودقيقة لكي يتعلم الطفل في كل مره خطوة واحدة فقط ينتقل منها إذا ما تعلمها إلى الخطوة التالية حتى يستطيع في نهاية العمل القيام بكل المهمة .

وإذا لم يقسم العمل لخطوات دقيقة فسيجد الطفل صعوبة في التعلم والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن الأم هو كيف اعلم أن ابني تعلم فعلا أداء ما فالفرد يتعلم أو يعتبر "تَعلَّم" إذا :

ـ كان العمل المطلوب منه تم فعلا---- يعني تناول طعامه بالملعقة مثلا

ـ إذا حدث تحسن بالأداء مثلا لم يعد يسكب الطعام على نفسه ، أو على المائدة أو على الأرض.

إذا استمر هذا العمل وداوم عليه .

ـ إذا عمم هذا الأداء خارج مجال التعليم- أى خارج البيت .

و أنجح وسيلة لتعليم الطفل هي تعليمه عن طريق اللعب ، ويمكن للام أن تعلم طفلها أشياء كثيرة عن طريق اللعب حيث يشعر الطفل انه يلعب ويلهو وهو سعيد ومن خلال هذه المشاعر يتعلم الكثير من المهارات وفي اللحظة التي يفقد فيها إحساسه بمتعة اللعب يجب على الأم التوقف والاستجابة له - وطريقة اللعب تختلف باختلاف السن .

إن اللعب يقوي قدراته التخيلية ويمثل مواقف الحياة اليومية لأنه من خلاله يقلد ويكتسب ويمارس وبالتالي يتعلم ، وعادة يبدأ الطفل باللعب مع الكبار أولا بعد ذلك مع الصغار ، ويساعد اللعب الطفل على الاتصال بالغير والتعبير عن نفسه . يساعده على التعلم من غيره.

يتعلم المشاركة وتبادل الأدوار ، وبالتالي يكون أقل تمركزا حول نفسه وأقل أنانية.

أثناء اللعب مع الطفل يجب أن يقترن اللعب بالحديث حتى يتعلم الطفل التخاطب والتواصل ولكي يتعلم الطفل .

ـ التواصل :

لكي يتعلم الطفل التواصل يجب أن يكون هناك شخص آخر يتواصل معه و أن يكون هناك موضوع يدور حوله الحديث. فالطفل عادة يعرف ما يدور حوله لذلك يجب التحدث معه بالأشياء التي يمارسها في حياته اليومية وليس عن أشياء لا يعرفها ولا تمثل له شيئا . وعندما يتحدث الطفل قد يخطئ في نطق الألفاظ أو يعكس وضعها أو يعكس بعض الحروف ، في هذه الحالة يجب على الأم آن تطلب منه النطق بالطريقة الصحيحة لأن ذلك سيؤخر نطقه ، وعلى الأم في هذه الحالة إعادة نطق الكلمة بالطريقة الصحيحة وعلى الأم أن تَطَّلع على قائمة النمو اللغوي.

وبشكل عام نقول :

- إذا عاش الطفل محاطا بالنقد تعلم انتقاد الآخرين .
- إذا عاش الطفل محاطا بالعداء تعلم العدوان .
- إذا عاش الطفل محاطا بالسخرية تعلم الخجل .
- إذا عاش الطفل محاطا بالعار تعلم الإحساس بالذنب .
- إذا عاش الطفل محاطا بالسماحة تعلم الصبر .
- إذا عاش الطفل محاطا بالتشجيع تعلم الثقة .
- إذا عاش الطفل محاطا بالمديح تعلم تقدير الآخرين .
- إذا عاش الطفل محاطا بالمساواة تعلم العدل .
- إذا عاش الطفل محاطا بالأمن تعلم الإيمان .

- إذا عاش الطفل محاطا بالتقبل تعلم تقدير ذاته .
- إذا عاش الطفل محاطا بالتقبل والصداقة تعلم أن يجد الحب في العالم .

**** على كل أب و أم أن يتذكرا ما يلي :**

- عش اليوم بيومه ولا تفكر كثيرا بمستقبل الطفل .
- تعرف على ولدك المعوق واكتشف أساليبه في التعامل .
- أشرك جميع أفراد الأسرة في الموقف .
- لا تجعل الطفل المعوق محور اهتمام الأسرة كلها وحاول أن تكون علاقات أسرية وعلاقات اجتماعية ولا تتجنب الأصدقاء والأقارب .
- بادر بإخبار الأقارب والأصدقاء والجيران بحالة الطفل وكلما كان مبكرا كان أفضل.
- لا تُخْفِ الحقائق الخاصة بالطفل عن بقية أطفال الأسرة ، وأجب على أسئلتهم بصدق.
- لا تخجل / لا تخجلي من ولدك أو ابنتك بسبب الإعاقة لأنه إن شعرت أنت بالخجل سيشعر كل من يتعامل معهم بهذه المشاعر تجاه الطفل .
- اخرج بالطفل كثيرا ولا تحاول إخفاءه .
- لا تؤمن بالخرافات ، وتعامل مع ابنك بشكل علمي وقدم له كل الإنجازات .
- تحدث وكوّن علاقات مع أسر أخرى لديها طفل معوق ، وتبادل المشاعر والأحاديث معهم .
- تذكر أن كل فرد بالأسرة قد يكون متضايقا وأعصابه متوترة ، لذلك يجب أن يتسامح كل فرد مع الآخر ، ويحاول أن يهدئ من نفسه حتى يعتاد الجميع على الوضع .
- تعلم / تعلمي كيف تساعد ابنك المعوق وكيف تقدم له المثيرات التي يحتاجها، وكيف تلعب معه ، وتنمي قدراته في نفس الوقت.